للزجال أحمد لمسيح، أحد روّاد هذا الجنس الأدبي والفني. ولد مراد القادري سنة 1965 في مدينة سلا الواقعة على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق، غير بعيد عن العاصمة. انشغل منذ شبابه بالعمل الثقافي ضمن جمعيات وهيئات عديدة، وأصدر مجموعة من الأعمال الزجلية، من بينها «حروف الكف»، «غزيل البنات»، «طير الله»، «طراموای» وغيرها. تُرجم بعضها إلى اللغات الأوروبية. وقد انكبّ في هذه المجاميع على كتابة قصيدة زجلية حداثية وفق تصور واعٍ للكتابة، وبدأب وجدية، في سياق مشروع شعري تجديدي يعرف صاحبه منبع الكتابة ومصبّها. في المؤتمر الأخير لـ«بيت الشعر» الذي انعقد قبل أيام، انتخب مراد القادري رئيساً له بعدما كان لسنوات عضواً في مكتبه المسيّر. فرصة لمساءلته عن أداء هذه الهيئة الثقافية، وتصوراته الجديدة بخصوص عملها، وما قدمته للشعر وللشعراء في المغرب

ثورة في شِعرنا العربي

تقديم وحوار
عبد الرحيم الخصار

وربّما لم يكن بمقدُور الدّكتور عباس الجيراري أنْ يناقِش أطروحة الدكتوراه في إحدى الجامعات المغربية، خوْفاً من المواقف التقليدية والنظرات المحافظة التي كانت تترصّد هذه القصيدة وتتهجّمُ عليها وعلى شِعريتها، وتنعتُها بالقصور عن التعبير عن الذات في علاقاتها بالكون والعالم. تِلك لحظة أولى، دالّة ورمزية، كونها تكْشفُ أنّ الاعتراف بشِعرية قصيدة الزجل تكرّس في المشرق لا في المغرب، قبل أنْ تتهيّأ ظروفٌ ثقافية ومعرفية مختلفة، أتاحت لي، سنة 2012، أن أناقش أطروحة الدكتوراه حول القصيدة الزجلية المغربية الحديثة. ستحضرُ للمرة الأولى هذه القصيدة في المحفل الأكاديمي المغربي لتخضع للأسئلة النظرية والمعرفية التي تضيءُ جوْهرها الشّعري، وتكشف عن العلاقة التي تربطها بالحداثة الشعرية المغربية وجدّيةِ انخراطها في أفق الكتابة بدل انحباسها في دائرة الشفوية. بين اللحظة الأولى (1969) واللحظة الثانية (2012)، جرت مياهٌ كثيرة تحت الجسر، ما جعل النظرة المتعالية التي كان يرمقُ بها بعض الأكاديميين وحتى بعض النقاد المغاربة قصيدة الزجل، تتغيّر وتعدّل زاوية نظرها. ويرجعُ السبب في ذلك إلى معطيات عدة.

شاعر الزّجل مدْعوٌّ لأن ينتمي لزمنِه الشّعري ويتفاعل مع مجموع المعارف والخِبرات والفنون

كما تعلم، خلال عقد السّبعينيات المنصرم، سيزدهرُ الإبداع المغربي باللّهجة الدارجة، في الشّعر الموجّه للغناء، حيث اكتسب العديد من الأغاني المغربية الذيوع والانتشار في المشرق العربي مثل أغنية «مرسول الحب» للفنان عبد الوهاب الدكالي، و«ياك أجرحي» للمطربة نعيمة سميح، علاوة على انتشار الزجل الغنائي الذي ذاع مع الفرق الموسيقية الشبابية، وبخاصة مجموعتي «ناس الغيوان» و«جيل جيلالة».

كذلك، يمكنُ الإلماحُ في هذا الصدد، إلى تنظيم اتحاد كتاب المغرب ـ أهمّ مؤسسة ثقافية مدنية مستقلة في ذلك الوقت ـ «المهرجان الأول لشعر الزجل في مدينة مكناس» الذي ستنتجُ منه مبادرة ثقافية أخرى لا تقلّ أهمية، وهي تخصيصُ مجلة «آفاق» لسان حال اتحاد كتاب المغرب، لأحد أعدادها لشعر الزجل، ما يعدّ

> **ما يُميزُ القصيدة الزجلية المغربية الحديثة هو صوْتُها لهويّتها الخاصة وقلقِها المتفرّد**

اعترافاً صريحاً من هذه المنظمة الثقافية بقيمة هذا الشّعر ومدى إسهامه في حيوية المتن الشّعري المغربي وتنوع روافده اللغوية ومرجعياته وحساسياته الثقافية.

تلك الأحداث هي ما صنع، في نظري، جُزءاً من الانعطافة الثقافية المهمة لدى قطاع واسع من الأساتذة والنقاد الجامعيين المغاربة. إذ لم يعودوا ينظرون إلى قصيدة الزجل ككتابة من الدرجة الثانية.

هكذا، لن يعود الزّجل خلف الشعر، بل سيأخذُ مكانه الطّبيعي كضلع من أضلاع القصيدة المغربية الحديثة والمعاصرة وركن من أركانها، لا يمكنُ التغافل عن مُنْجزه أو تجاهل تراكماته الجمالية والفنيّة التي تُغذّي المتخيّل الشّعري المغربي والعربي على حدّ سواء.

ويمكن القول إنه منذ تسعينيات القرن المُنصرم، برهنت قصيدة الزجل عن هُويتها ككِتابةٍ شعرية، وكرافدٍ يغذي المتن الشعري المغربي المعاصر، وخاصّة في اللحظة التي ينجحُ خلالها في بناءِ ممارسة نصّية لها الغواية وقلقُ السؤال بعيداً عن التراتُبيات اللغوية والتصوّرات النّقدية التي كانت حول هذه القصيدة.

■ بخصوص النقد، هل هناك تناول مختلف للتجارب الراهنة؟ أم أن المقاربة النقدية لنص الزجل تتم بالأدوات نفسها المعتمدة في تحليل الشعر الفصيح ونقده؟

اشتبعاد قصيدة الزّجل من دائرة الاهتمام النظري والنّقدي، كان من نتائجه غياب ذاكرة قرائية خاصّة بها، ما أدّى إلى اعتماد المقاربات النقدية ـ على قلّتها ـ على استعمال الأدوات المنهجية التي تأسّست في تُربة الشّعر الفصيح في اشتجلاء العناصر الجمالية في الممارسة النصّية لهذه القصيدة. أمر لم يصُن لهذه القصيدة هويّتها وتمايزاتِها، وخاصّة إذا علمنا أنها ظلت دوْماً منظوراً إليها كنصٍّ شفوي. وقد كان من جرّاء ذلك، أنّ غالبية الدّراسات النّقدية التي أُنجزت حول قصيدة الزّجل، نجدُها تتشابهُ مع تلك التي نقرأها في كتب النقد الخاصّة بالشّعر الفصيح. فالنّقاد، للأسف، لم يُولوا اهتماماً للأسئلة الخاصة التي يمكنُ أنْ تولّدها هذه القصيدة. أسئلة يمكنُ في حال اشتنباطها واستثمار أفُقِها المعرفي والثقافي والشّعري أن تحقّق التراكم النّقدي الكفيل بالكشْف عن القوانين الكلّية المُؤطّرة لجمالية قصيدة الزّجل وشعريتها. غايةٌ ومطمحٌ يمكنُ بلوغهما، متى توافرت مثل هذه القراءات النقدية الواعية بطبيعة المتن الزجلي المغربي الحديث.

■ تم انتخابك قبل أيام رئيساً لـ«بيت الشعر» في المغرب. ما الذي يمكن أن يضيفه مراد القادري للشعر المغربي في المرحلة الراهنة والمقبلة، وخصوصاً أن الزمن قد يبدو للناس زمناً غير شعري، وأن لدى الكثير نوعاً من التحفظ وأحياناً النفور من المؤسسة الثقافية في بلادنا؟

أولاً، لنْ أكون وحيداً في هذه التّجربة، ذلك أنّني مُحاطٌ بنُخبة من الكفاءات الثقافية الجديرة بالتّقدير والمتوفّرة على خِبرة في العمل الثقافي، من بينهم ثلاثة رُؤساء سابقين لبيت الشّعر في المغرب؛ وهم الناقد عبد الرحمن طنكول والشّاعران حسن نجمي ونجيب خداري. ومن المؤكد أنّ حضورهم إلى جانبي سيمثّل سنداً ودعْماً لعملي على رأس هذه المنظمة التي أعِي؛ شخصياً؛ أنها مُطالبة بتطوير أدائها والارتقاء به حتى تتحقّق اسْتِدامة العمل الثقافي والشّعري. أتّفق معك على أنّ المرحلة التي نعيشُها، داخلياً؛ عربياً وعالمياً؛ دقيقة جداً. من جهة، هناك تراجعٌ لصوت الشّعر أمام حِدّة نبرات الكراهية والحِقد وارتفاع صوت العُنف، والتهافتُ على امتلاك الحقيقة الدينيّة واستثمارها السياسيّ. من ناحية أخرى، هناك اسْتحكامُ التّفاهة والبلاهة وتحوّلُهُما إلى سُلطة يَوميّة، والتراجُع المَهُول لمَنظومة القِيَم، والخفُوتُ البيّن للسؤال الثقافي لا في السياسات العامّة فحسب، بل أيضاً في النّقاش العموميّ. مع ذلك، ورغماً عنّي، أنا متفائل. في هذه الظروف، تزداد الحاجة إلى الشعر، إذ لا يمكن لنا كمؤسسة ثقافية مدنية ومستقلة إلا أنْ نتحمّل مسؤوليتنا في ترسيخ هذه الحاجة وتعميقِ الوعي بحَيَويتها التي لا تقاسُ بالجماهيريّ وبالذيوع الإعلاميّ، بل بما يُسمِع صوت الشعر في اللحظة التي ينتصرُ فيها للإنسان وللمستقبل.

ضِمن هذا المنظور، سنشْرعُ في تنْفيذ التّوصيات الصادرة عن المؤتمر الأخير لـ«بيت الشعر» في المغرب، بما يخدُم الحركة الشّعرية في المغرب، ويقوّي مُشاركة الشّعراء المغاربة ليس بما يُثري الرّصيد الفني والجمالي للقصيدة المغربية فحسب، بل بما يقوّي، كذلك، انخراطهم ويعزّز ارتباطهم العضوي بالقضايا المُجتمعيّة، وبالدفاع عن الحريّة والكرامة والعدالة، وبالانتصار للخيال والحُلم والجمال، وبنقد أيّ تراجُع في ما تحقّق من مكاسبَ في مسار الدفاع عن حقوق الإنسان.

■ هل سينفتح بيت الشعر على المزيد من الأسماء؟ فقد لاحظ كثيرون أنه حين تم فتح باب العضوية الذي كان مغلقاً لسنوات، أصبح الدخول إليه يخضع لنظام التقطير، أي إضافة أسماء محدودة وغض الطرف عن أسماء أخرى. ما الذي يقدمه بيت الشعر لأعضائه؟ هل سيكون بيتاً للجميع، وخصوصاً في ظل انهيار مؤسسات ثقافية أخرى أو تراجعها؟

«بيت الشعر» في المغرب تأسّس، منذ البداية، وفْق رُؤْية تنظيمية مُعيّنة. فهو ليس جمْعية جماهيريّة بالمعنى المُتعارف عليه، بل هو أشْبه بأكاديمية مَعْنيّة بتعْزيز حُضُور الشّعر المغربي، وتوْفير فُرص له للوجود في مُختلف المِنصّات التعليمية والجامعية والإعلامية وفي الحياة بشكل عام، عِلاوة على تقوية علاقاته مع الجغرافيات الشعرية في العالم؛ والنهوض بمجال نشر الكتاب الشّعري وتحْسِين توْزيعه، واتّخاذ كل التدابير لدى القطاعات الحكومية والجهات المنتخبة والخاصّة من أجل ترْسيخ الحاجة إلى الشّعر في حياتنا اليومية، وضمان حقّ الشّعراء المغاربة في التّعبير والإبداع. ويمكنُ القول إنّه منذ تأسيس بيت الشعر في المغرب، وهو يعملُ وفق تصوّر معيّن للعُضوية. مفادُ هذا التّصور أن بيت الشّعر مُنفتح على الشّعراء والنّقاد والمُترجمين والفنّانين كافّة الذين يُدْرجُون الشّعر ضِمن أفُق اشْتغالهم. انْفتاحُ يتمُّ وفْق آليات عدة، ليست العُضوية سِوى واحدة منها. للتّوضيح أكثر، أسْتعينُ بالأرقام، إذْ ليس هناك أقوى من بلاغة الأرقام. خِلال المرحلة الماضية من عُمر بيت الشعر التي أدارها الشاعر نجيب خداري (مارس 2013 / يوليو 2017)، شارك في الأنشطة الثقافيّة والشعرية لبيت الشعر ما يناهز 258 فرداً، من بينهم 130 ليسوا من أعضاء البيت، أي بنسبة 51%.

بخصُوص النشر، أصدرَ بيت الشّعر في المغرب، خِلال الفترة نفسها، 62 كتاباً، حظِي منها أعْضاء البيت بنسبة 27%، فيما استفاد مَن هُم خارج البيت بنسبة 73%. أما المساهمُون في مواد الأعداد الثمانية (8) من مجلة «البيت»، فقد بلغ عددهم 43 ناقداً وشاعراً، 35 منهم من خارج البيت، أي بنسبة 81%، و18 من أعضاء البيت، أي بنسبة 19%.

معنى هذا الكلام أنّ بيت الشعر في المغرب له أكثر من آلية لإدْماج الشّعراء المغاربة في برامِجه الثقافية والشّعرية، وأنّ عدم الانتساب إليه بصفة نظامية، أي من خِلال العُضوية، لا يعْني أبداً عدم المشاركة في الفعاليات التي يُنظّمها أو عدم الاسْتفادة من فُرص النشر التي يتيحها، سواء في مجلة «البيت» أو ضمن منشوراته. على أنّ هذا الكلام لا يعني أنّ آلية العضوية مُعطلة، فتكفي الإشارة إلى أنه خلال المؤتمر الأخير المنعقد بتاريخ 9 يوليو 2017، التحق 20 عضواً جديداً ببيت الشعر، من مختلف الحساسيات الشعرية واللغوية والنقدية في المغرب.